شجرة الكون

تأليف

الشيخ الأكبر سيدى محيي الدين بن العربي

رضى الله تعالى عنه آمين

ويليها :

حكاية إبليس

عما أخبر به النبي المعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

٥١١

شجرة الكون

تأليف

الشيخ الأكبر سيدى محيي الدين بن العربى

رضى الله تعالى عنه آمين

ويليها :

حكاية إبليس

عما أخبر به النبي المعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبي وشركاه . خلفاء

الطبعة الأخيرة

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ
(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأحديّ الذات ، الفرديّ الصفات ، الذى تقدس وجههُ عن الجهات ، وقدسه عن المحدثات ، وقدمه عن الجهات ، ويده عن الحركات ، وعينه عن اللحظات ، واستواؤه عن الاتصالات ، وقدرته عن المفوات ، وإرادته عن الشهوات ، الذى لاتعدّد لصفاته بعدد الموصوفات ، ولا تختلف إرادته باختلاف المرادات ، وكوّن بكلمة (كن) جميع الكائنات ، وأوجد بها جميع الموجودات ، فلا موجود إلا مستخرج من كنهها المكنون ، ولا مكنون إلا مستخرج من سرها المصون ، قال الله تعالى - إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون - :

وبعد : فإنى نظرت إلى الكون وتكوينه ، وإلى المكنون وتدوينه ، فرأيت الكون كله شجرة وأصل نورها من حبة كن قد لقحت كاف الكونية بلقاح حبة : - نحن خلقناكم - فانعقد من ذلك البزر ثمرة - إنا كل شيء خلقناه بقدر - ؛ وظهر من هذا غصنان مختلفان أصلهاواحد ، وهو الإرادة وفرعها القدرة ، فظهر عن جوهر الكاف معنيان مختلفان كاف الكمالية - اليوم أكملت لكم دينكم - ، وكاف الكفرية - فمنهم من آمن ومنهم من كفر - وظهر جوهر النون نون النكرة ونون المعرفة ، فلما أبرزهم من كنّ العدم على حكم مراد القدم رش عليهم من نوره ، فأما من أصابه ذلك النور فحدق إلى تمثال شجرة الكون المستخرجة من حبة كن فلاح له فى سرّ كافها تمثال - كنتم خير أمة - واتضح له فى شرح نونها - أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - وأما من أخطأه ذلك النور فطولب بكشف المعنى المقصود من حرف كن فإنه غلط فى هجائه وخاب فى رجائه فنظر إلى مثال كن فظن أنها كاف كفرية بنون نكرة فكان من الكافرين وكان حظ كل مخلوق من كلمة كن ماعلم من هجاء حروفها وماشهد من سر أثر خفائها دليله

قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق خلقه فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن
أصابه ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأه ذلك النور ضل وغوى » فلما نظر آدم
إلى دائرة الوجود فوجد كل موجود دائرا فى دائرة الكون واحد من نار وواحد من
طين ، ثم رأى هذه الدائرة على سر ائر كن فكيفما دار واستدار وحيثما طار واستطار
فإليها يئول وعليها يجول ولا يزول عنها ولا يحول ، فواحد شهد كاف الكمالية ونون
المعرفة ، وواحد شهد كاف الكفرية ونون النكرة فهو على حكم ما شهد راجع إلى
نقطة دائرة كن ، وليس للمكون أن يجاوز ما أراده المكون ؛ فإذا نظرت إلى
اختلاف أغصان شجرة الكون وتنوع ثمارها علمت أن أصل ذلك ناشئ من حبة
كن بائن عنها ، فلما أدخل آدم فى مكتب التعليم وعلم الأسماء كلها نظر إلى مثال كن
ونظر إلى مراد المكون من المكون فشهد المعلم من كاف كن كاف الكنزية «كنت كنزا
مختفيا لا أعرف فأحببت أن أعرف» فنظر من سر النون نون الأنانية - إننى أنا الله
لا إله إلا أنا - الآية ، فلما صح الهجاء وحقق الرجاء استنبط له من كاف الكنزية
كاف التكريم - ولقد كرمنا بنى آدم - وكاف الكنتية «كنت له سمعا وبصرا
ويدا» واستخرج له من نون الأنانية نون النورية - وجعلنا له نورا - واتصلت بها
نون النعمة ، - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - وأما إبليس لعنه الله فإنه مكث
فى مكتب التعليم أربعين ألف عام يتصفح حروف كن وقد وكله المعلم إلى نفسه
وأحاله على حوله وقوته ، فكان ينظر إلى تمثال كن ليشهد من تمثالها كاف كفره
فكبر - فأبى واستكبر - ويشهد من نونها نون ناريته - خلقتنى من نار - فاتصلت كاف
كفريته بنون ناريته - فكبكبوا فيها - فلما نظر آدم إلى اختلاف هذه الشجرة
وتنوع أزهارها وثمارها فتشبث بغصن - إنى أنا الله - فنودى : كل من ثمار التوحيد
واستظل بظل التفريد - ولا تقربا - فأراد إبليس أن يوصله بغصن - فوسوس لهما
فأكلا منها - فزلقا فى مزالق - وعصى - واستمسك بغصن - ربنا ظلمنا أنفسنا - فتدلت
عليه ثمار - فتلقى - فلما نودى يوم الإشهاد ، على رءوس الأشهاد - ألست بربكم -
فشهد كل على مقدار ما شهد وسمع ، ثم اتفق الكل فى الإيجاب ، فقالوا - بلى - لكن
الاختلاف وقع من حيث الإشهاد ، فمن أشهده جمالية ذاته شهد أنه - ليس كمثله شىء -
ومن أشهده جمالية صفاته شهد : أنه - لا إله إلا هو الملك القدوس - ومن أشهده عرائس

مخلوقاته اختلفت شهاداتهم لاختلاف المشهود فقوم جعلوه محدودا ، وقوم جعلوه معدوما
وقوم جعلوه حجرا جلمودا ، والكل فى ذلك على حكم - قل لن يصيبنا - وهو مستبطن
فى سر كلمة كن ، دائر على نقطة دائرتها ، ثابت على أصل حبتها ، فلما كانت هذه الحبة
بزر شجرة الكون وبزر ثمرتها ومعنى صورتها ، أحببت أن أجعل للمكون مثالا
والموجود تمثالا ، ولما ينتج فيه من الأقوال والأفعال والأحوال منوالا ، فمثلت شجرة
نبتت عن أصل حبة كن ، وكل ما يحدث فى الكون من الحوادث كالنقص والزيادة
والغيب والشهادة والكفر والإيمان وما تثمر من الأعمال وزكاة الأحوال ، وما يظهر
من أزاهير القول والتوق والذوق ولطائف المعارف ، وما تورق به من قربات المقربين
ومقامات المتقين ، ومنازلات الصديقين ، ومناجاة العارفين ، ومشاهدات المحبين ،
كل ذلك من ثمرها الذى أثمرته وطلعها الذى أطلعته ، فأول ما أنبتت هذه الشجرة
التى هى حبة كن ثلاثة أغصان أخذ غصن منها ذات اليمين فهم أصحاب اليمين ، وأخذ
غصن منها ذات الشمال ، ونبت غصن منها معتدل القامة على سبيل الاستقامة ،
فكان منه السابقون المقربون ، فلما ثبت واستعلى جاء من فرعها الأعلى وجاء
من فرعها الأدنى عالم الصورة والمعنى ، فما كان من قشورها الظاهرة وستورها
البارزة فهو عالم الملك ، وما كان من قلوبها الباطنة ولباب معانيها الخافية فهو عالم
الملكوت ، وما كان من الماء الجارى فى شريانات عروقها الذى حصل به نموها
وحياتها وسموها ، وبه طلعت أزهارها ، وأينعت ثمارها فهو عالم الجبروت الذى هو
سر كلمة كن ، ثم أحاط بالشجرة حائط وحد لها حدود ورسم لها رسوم ، فحدودها
الجهات وهن : العلو والسفل واليمين والشمال ووراء وأمام ، فما كان أعلى فهو حدها
الأعلى وما كان أسفل فهو حدها الأسفل . وأما رسومها وما فيها من الأفلاك والأجرام
والأملاك والأحكام والآثار والأعلام ، فجعل السبع الطباق بمنزلة ما يستظل به من
الأوراق ، وجعل الكواكب فى الإشراق بمنزلة الأزهار فى الآفاق ، وجعل الليل
والنهار بمنزلة رداءين مختلفين : أحدهما أسود يرتدى به ليحتجب عن الأبصار ،
والآخر أبيض يرتدى به ليتجلى على ذوات الاستبصار ، وجعل العرش بمنزلة بيت
مال هذه الشجرة وخزانة سلاحها ، فمنه يستمد ما فيه صلاحها ، وفيه صواس هذه
الشجرة وخدمها - وترى الملائكة حافين من حول العرش - إليه يتوجهون ، وعليه

يعولون، وحوله يحومون، وبه يطوفون، وحيثما كانوا فإليه يشيرون، فمتى حدث في هذه الشجرة حادثة أو نزل بشيء منها نازلة رفعوا أيدي المسئلة والتضرع إلى جهة عرشه يطلبون الشفا ويستعفون عن الخطا، لأن موجد هذه الشجرة لا جهة إليه يشار إليها، ولا أينية له يقصدونها، ولا كيفية له يعرفونها، فلو لم يكن العرش جهة يتوجهون إليه القيام بخدمته، ولأداء طاعته لضلوا في طلبهم، فهو سبحانه وتعالى إنما أوجد العرش إظهارا لقدرته لا محلا لذاته، وأوجد الوجود لا لحاجة له به وإنما هو إظهار لأسمائه وصفاته، فإن من أسمائه الغفور، ومن صفاته المغفرة، ومن أسمائه الرحيم، ومن صفاته الرحمة، ومن أسمائه الكريم، ومن صفاته الكرم، فاختلفت أغصان هذه الشجرة وتنوعت ثمارها ليظهر سر مغفرته للمذنب، ورحمته للمحسن، وفضله للطائع، وعدله للعاصي، ونعمته للمؤمن، ونقمته على الكافر، فهو مقدس في وجوده عن ملامسة ما أوجده ومجانبته ومواصلته ومفاصلته، لأنه كان ولا كون وهو الآن كما كان لا يتصل بكون ولا ينفصل عن كون لأن للوصل والفصل من صفات الحدوث لا من صفات القدم لأن الاتصال والانفصال يلزم منه الانتقال والارتحال ويلزم من الانتقال والارتحال التحول والزوال والتغيير والاستبدال، هذا كله من صفات النقص لا من صفات الكمال، فسبحانه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا، ثم جعل اللوح والقلم بمنزلة كتاب الملك وما يسطر فيه من أحكامه وما حكم بنقضه وإبرامه وإيجاده وإعدامه وما يخرج من بره وإنعامه وما يكون من ثوابه وانتقامه، ثم جعل سدرة المنتهى بمنزلة غصن من أغصان هذه الشجرة يقوم تحتها من يقوم بخدمته وينفذ أحكامه ويرفع إليه ما يحمل من ثمرة هذه الشجرة وما يدانيها، ثم يتلقى هناك من نسخة كتاب الملك الذي هو اللوح المحفوظ، وما يحدث في هذه الشجرة من محو وإثبات ونقص وزيادة فلا يتجاوز تلك الشجرة، إذ لكل واحد منهم حد مفهوم، وحظ مقسوم، ورسم مرسوم -وما منا إلا له مقام معلوم- ولا يرفع شيء من ثمرة هذه الشجرة من دني أو سني، أو صغير أو كبير، أو جليل أو حقير، أو قليل أو كثير، إلا ختم عليه في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. ثم يأمرهم الملك أن يدفعوا إلى إحدى خزانتيه اللتين ادخرهما لثمرة هذه الشجرة وهما الجنة والنار، فما كان من ثمر طيب ففي خزانة الجنة

-كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين- وما كان من ثمر خبيث ففي خزانة النار -كلا إن كتاب الفجار لفي سجين-، فأما الجنة فدار أصحاب اليمين من جانب الطور الأيمن من الشجرة المباركة الطيبة، وأما النار فدار أصحاب الشمال من الشجرة الملعونة في القرآن ثم جعل الدنيا مستودع زهرتها والآخرة مستقر ثمرتها وأحاط على هذه الشجرة حائط إحاطة القدرة والله بكل شيء محيط، وأدار عليها دائرة الإرادة يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فلما ثبت أصل هذه الشجرة وثبت فرعها التقى طرفاها ولحق أخراها بأولاها -إلى ربك منتهاها- إلى مبتداها، لأن من كان أوله كن كان آخره يكون فهي وإن تعددت فروعها وتنوعت زروعها فأصلها واحد فهي حبة كلمة كن وسيكون آخرها واحدا وهي كلمة كن، فلو أحدقت ببصر بصيرتك لرأيت أغصان شجرة طوبى معلقة بأغصان شجرة الزقوم، وبرد نسيم القرب يمازج حر السموم، وظل سماء الوصل متصل بظل من يحموم، وقد تناول كل حظه المقسوم فواحد يشرب بكأسه المختوم وواحد يشرب بكأسه المحتوم، وواحد من بينهم محروم، فلما برزت أطفال الوجود من حضرة العدم هبت عليهم نسمات القدرة، وغذتها لطائف الحكمة، وأمطرتها سحائب الإرادة بعجائب الصنع، فأنبت كل غصن منها ما سبق له في القدم، وركب في عنصره من الصحة والسقم، والكون كله من عنصرين مستخرجين من جزءين من كلمة كن، وهما: الظلمة والنور؛ فالخير كله من النور، والشر كله من الظلمة، فلأ الملائكة موجود من عنصر النور، فكان منهم الخير -لا يعصون الله ما أمرهم- وملأ الشياطين من عنصر الظلمة فكان منهم الشر، وأما آدم وبنوه فإنهم جعلت طينتهم من الظلمة والنور، وركب عنصره من الخير والشر والنفع والضر، وجعلت ذاته قابلة للمعرفة والنكرة، فأي جوهر غلب عليه نسب إليه، فإن علا جوهر نوره على جوهر الظلمة وظهرت روحانيته على جسمانيته، فقد فضل على الملك وعلا على الفلك، وإن غلب جوهر ظلمته على جوهر نوره وظهرت جسمانيته على روحانيته، فقد فضل على الشيطان، فلما قبض الله آدم من قبضة تراب كن مسح على ظهره -حتى يميز الخبيث من الطيب- فاستخرج من ظهره من كان من أصحاب اليمين، فأخذوا ذات اليمين، واستخرج من ظهره من كان من أصحاب الشمال، فأخذوا ذات الشمال، وما زاغ أحد عن المراد وما مال، ومن قال لم؟ فقد أخطأ في السؤال.

فأول من عمل حوالى هذه الشجرة إلى أصل حبة كن فاعتصر صفوة عنصرها ومخضها حتى بدت زبدتها، ثم صفاها بمصفاة الصفوة حتى زال وخمها، ثم ألقى عليها من نور هدايته حتى ظهر جوهرها . ثم غمسها فى بحر الرحمة حتى عمت بركتها، ثم خلق منها نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم زين بنور الملإ الأعلى حتى أضاء وعلا ، ثم جعل ذلك النور أصلا لكل نور، فهو أولهم فى المسطور، وآخرهم فى الظهور ، وقائدهم فى النشور، ومبشرهم بالسرور، ومتوجهم بالحبور، فهو مستودع فى ديوان الأنس مستقر فى رياض الأنس وحضرة الأنس، ستر معنى روحانيته بستر جسمانيته ، وغطى عالم شهوده بعالم وجوده، فهو مستخرج فى الكون مستنبط لأجله الكون، وذلك أن الله تعالى كون الأكوان اقتدارا عليها لا افتقارا إليها، وكمال حكمته فى التكوين لإظهار شرف الماء والطين ، فإنه أوجد ما أوجد ولم يقل فى شىء من ذلك: - إنى جاعل فى الأرض خليفة - وكان وجود الآدمى فكانت حكمته فى وجود الآدمى لإظهار شرف النبى صلى الله عليه وسلم لأنه حكمة الأجساد لاستخراج كاف الكنزية «كنت كنزا مخفيا لا أعرف» فكان المقصود فى الوجود معرفة موجدهم سبحانه، وكان المخصوص بأتم المعارف قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لأن معارف الكل كانت تصديقا وإيمانا ومعرفته صلى الله عليه وسلم مشاهدة وعيانا ، وبنور معرفته صلى الله عليه وسلم تعرفوا، وبفضله عليهم اعترفوا فاستخرجه من لباب حبة كن -كزرع أخرج شطأه فآزره - بصحابته - فاستغلظ - بقرابته - فاستوى على سوقه - بصحة ذوقه وقوة توقه وشوقه، فلما ظهر هذا الغصن المحمدى وسما أورق عوده ونما وانهل عليه سحاب القبول وهمى ، وتباشر بظهوره الحدثان وبشر بوجوده الثقلان وتعطرت بقدومه الأكوان، وانتكست بمولده الأوثان، ونسخت بمبعثه الأديان، ونزل بتصديقه القرآن، واهتزت طربا شجرة الأكوان، وتحرك ما فيها من الألوان والعيدان، وكان من أغصان هذه الشجرة من أخذ ذات الشمال ومال بهوى الضلال، فلما أرسلت رياح الإرسال برسالة - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - استنشقها من سبقت لهم منا الحسنى فمال إليها منعطفا ، وأما من كان مزكوما ، أو من خلع القبول محروما فإنه عصفت به عواصف القدرة فأصبح بعد نضارته يابسا، ووجه سعادته عابسا وراح من رجاء فلاحه قانطا آيسا، وكان سر هذا الغصن لقاح شجرة

الجود ودرة صدفة الوجود، وكان من روح روحانيته روح - يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا - فهو مصباح ظلمة الكون وروح جسد الوجود ، لأن الله تعالى لما خاطب السموات والأرض، وقال لها - ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين - فأجابه موضع الكعبة من الأرض ومن السماء ما يحاذيه ، فكانت تربة بقعة الكعبة ، وكان محل الإيمان من الأرض، فلما أمر الله بالقبضة التى قبضت من الأرض لخلق آدم عليه السلام ، فقبضت من سائر الأرض من طيبها وخبيثها، فكانت طينة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مخلوقة من موضع الكعبة التى هى محل الإيمان بالله تعالى ، ثم عجنت تلك الطينة بطينة آدم عليه السلام، فكانت تلك الطينة بمنزلة الخميرة، ولولا ذلك لما أطاقوا الإجابة يوم الإشهاد ، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» فكانت ذوات الوجود وبركته من ذرة وجوده ، فلما أشهدهم على أنفسهم فى حضرة شهوده قال - ألست بربكم قالوا بلى - فسرت فى أجزاء ذراتهم تلك الخميرة النبوية فانطلقت بإذن الله تعالى ألسنتهم بالتلبية قائلة فمن كانت طينته قابلة للتخمير بما سبق فى التقدير بقى معه ذلك التخمير باقيا فيه مستصحبا حتى ظهر إلى الحس وظهر فى تلك الصورة فبرز ذلك المعنى محققا لتلك الدعوى، فأشرق نور ذلك المعنى الروحانى على ما يحاذيه من الجسد الجسمانى، فأشرق الجسد بعد ظلمته فاستنارت الجوارح لرشدها فعملت بالطاعة، وأما من كانت طينته خبيثة غير قابلة للتخمير وإنما أثرت تلك الخميرة مقدار ما اعترف عند الإشهاد، وأفصحت فى ذلك الإقرار فى حالة الاستقرار، ثم طال عليها الأمد ففسدت تلك الخميرة بفساد تلك الطينة، فكأنه كان مستودعا فاسترجع منه ما استودع إذ لم يكن لحفظها أهلا فهو مستودع أعنى الإيمان فى قلوب الكافرين مستقر فى قلوب المؤمنين، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة» التى فطر الله الناس عليها، وهو تساويهم فى الإيمان فى قول - ألست بربكم قالوا بلى - واستووا فى التلبية ونطقوا بالإجابة لسريان تلك الخميرة النبوية فى أجزاء ذراتهم ، وقد سبق فى علم الله تعالى ونفذ تقديره، فمن تبق على ذلك الإقرار لا يستحيل إلى الجحود والإنكار، وكل ما يحدث فى شجرة الكون من نمو وزيادة وأزهار وأثمار أفكار ومتشابه شوق ومحكم ذوق

وصفاءأسرار ونسيم استغفار ومايئموبه من الأعمال وتزكو به الأحوال وماتورق
من رياضات النفوس ، ومناجاة القلوب ، ومنازلات الأسرار ، ومشاهدات الأرواح
وما ينبت به من أزاهير الحكم ، ولطائف المعارف ، ومايصعد من طيب الأنفاس
وما يعقد من ورق الإيناس ، ومانشأ من رياح الارتياح وماينبى على أصلها من
مراتب أهل الاختصاص ، ومقامات الخواص ، ومنازلات الصديقين ، ومناجاة
المقربين ، ومشاهدات المحبين ، كل ذلك من لقاح الغصن المحمدى ، متوقد
نوره ؛ مستمد من نماء نهر كوثره ، مغزى بلباب برّه ، مربى فى مهد هدايته
فلذلك عمت بركاته ، وتمت على الخلائق رحمته ـ وما أرسلناك إلا رحمة العالمين
فلما مهد لأجله الدار ، وسخر من أجله الليل والنهار ، ورسم الرسوم وحد
الأقطار ونوّه بذكره ونبه على سره وقدره ، وأخذ الميثاق على تصديقه والتمسك بحبل
تحقيقه جلا عروس شريعته على أتباعه وشيعته ، ثم ختم بنبوته الأنبياء وبكتابه
الكتب وبرسالته الرسل ، فمن احتمى بحمى شريعته سلم ، ومن استمسك بحبل
ملته عصم . لما توسل به آدم عليه السلام سلم من الملام ، ولما انتقل إلى صلب
إبراهيم الخليل صارت النار عليه برداوسلاما ، ولما أودعته صدفة إسماعيل فدى
بذبح عظيم ، فثمرة غصن أصحاب اليمين ـ يحبهم ويحبونه ـ وثمرة غصن أصحاب الشمال
ـ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ـ وثمرة غصن السابقين المقربين ـ محمد رسول الله
والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم ـ فبركته على الآفاق قد عمت ، وكلمته
قد تمت ؛ خلق آدم على صورة اسمه لأن اسمه محمد ، فرأس آدم دائرة بتدويرها
على صورة الميم الأولى من اسمه وإرسال يده مع جنبه على صورة الحاء وبطنه على
صورة الميم الثانية ورجلاه فى انفتاحهما على صورة الدال ، فكمل خلق آدم على
صورة اسم محمد صلى الله عليه وسلم ، وقولنا كون الأكوان على هيئة رسمه لأن
العالم عالمان عالم الملك وعالم الملكوت ؛ فعالم الملك كعالم جسمانيته ، وعالم الملكوت
كعالم روحانيته فكثيف العالم السفلى ككثيف جسمانيته ولطيف العالم العلوى
كلطيف روحانيته ، فما فى الأرض من الجبال التى جعلت فى الأرض أوتادا فهى
بمنزلة جبال عظامه التى جعلت أوتاد جسده ، وما فيها من بحار مسجورة جارية

وغير جارية عذبة وغير عذبة فهى بمنزلة مافى جسده من دم جار فى تيار العروق
وساكن فى جداول الأعضاء واختلاف أذواقها ؛ فمنها ماهو عذب وهو ما الريق
يطيب بعجينه المآكل والمشارب ، ومنها ماهو مالح وهو ماء العين يحفظه شحمة
العين ، ومنها ماهو مرّ وهو ماء الأذن لصيانة الأذن من حيوان ودبيب يصل إليها
فيقتله ذلك الماء ؛ ثم فى أرض جسده ماينبت كالأرض الجرز والأرض السبخة التى
لاتنبت ويستحيل النبت فيها ؛ ثم لما كان فى الأرض بحار عظيمة تتفرع منها أنهار
وسواق لنفع الناس بها كذلك فى أرض جسده عروق غلاظ كالوتين الذى يبث
الدم وتستمد العروق منه إلى سائر الجسد ثم العالم العلوى وهو عالم السماء جعل الله
فيه شمسا كالسراج يستضىء به أهل الأرض ، كذلك جعلت الروح فى الجسد يستضىء
بها الجسد ، فلو غابت بالموت لأظلم الجسد كظلمة الأرض إذا غابت عنها الشمس ؛
ثم جعل العقل بمنزلة القمر يستنير فى فلك السماء تارة يزيد وتارة ينقص ، فابتداؤه
صغير وهو هلال كابتداء عقل الصغير فى صغره ثم يزيد كزيادة القمر ليلة تمامه ثم
يبدو بالنقص فهو بمنزلة بلوغ الأجل إلى تمام الأربعين ثم يعود فى النقص فى تركيبه
وقوته ؛ ثم جعل فى السماء كواكب خمسا وهى الخمس الخنس ـ الجوارى الكنس ـ وهى
بمنزلة الحواس الخمس وهى الذوق والشم واللمس والسمع والبصر ، ثم جعل فى عالم
السماء عرشا وكرسيا ، فالعرش أوجده وجعل وجهة قلوب عباده إليه ومحل رفع الأيدى
إليه لامحلا للذاته ولامجانسا لصفاته لأن الرحمن تعالى اسمه الاستواء نعته وصفته ،
ونعته وصفته متصلة بذاته ، والعرش خلق من خلقه لامتصل به ولاملامس له
ولامحمول عليه ولامفتقر إليه ، وأما الكرسى فهو وعاء أسراره وكنانة أنواره
ومستودع مافى دائرة ـ وسع كرسيه السموات والأرض ـ فجعل الصدر بمنزلة الكرسى
لأن فيه تحصيل العلوم الصادرة بمنزلة الساحة على باب القلب والنفس يشرع منه
بابان إليهما ، فما صدر عن القلب من خير أو عن النفس من شر فهو محصل فى
الصدر وعنه يصدر إلى الجوارح وهوّ معنى قوله تعالى ـ وحصل مافى الصدور ـ
وجعل القلب بمنزلة العرش لأن عرشه فى السماء معروف وعرشه فى الأرض مسكون
لأن عرش القلوب أفضل من عرش السماء لأن ذلك العرش لايسعه ولايحمله ولا
يدركه وهذا عرش فى كل حين ينظر إليه ويتجلى عليه وينزل من سماء كرمه إليه

«ماوسعنى سمواتى ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى المؤمن» ولما جعل فى عالم الآخرة جنة ونارا للنعيم والعذاب هذه خزانة الخير وهذه خزانة الشر، كذلك جعل الخير الذى هو مكان سويداء القلب جعله جنة عبده المؤمن لأنه محل المشاهدة والتجلى والمناجاة والمنازلات ومنبع الأنوار، وجعل النفس بمنزلة النار لأنها منبع الشر ومحل الوسواس وربع الشيطان ومحل الظلمة، ثم جعل اللوح والقلم نسخة كتاب الكون والتكوين وما كان ومايكون إلى يوم الدين، وجعل الملائكة تستنسخ مايؤمرون بنسخه من محو وإثبات وموت وحياة ونقص وزيادة فكذلك اللسان بمنزلة القلم والصدر بمنزلة اللوح، فما نطق به اللسان رقمته الأذهان فى ألواح الصدور، وما أرخته إرادة القلب إلى الصدر عبر عنه اللسان كالترجمان، ثم جعل الحواس رسل القلب يستنسخ ماحصل فيها، فالسمع رسول وهو جاسوسه، والبصر رسول وهو حارسه، واللسان رسول وهو ترجمانه، ثم جعل فى الإنسان ماهو دلالة على الربوبية وتصديق الرسالة المحمدية وذلك الهيكل الإنسانى لما افتقر إلى مدبر وهو الروح وكان مدبره واحدا وكانت الروح غير مرئية ولامكيفة ولامتحيزة فى شىء من الجسد، ولايتحرك شىء من الجسد إلابشعورها به وإرادتها له لايحس ولايمس إلا بها، وكان ذلك كله دلالة على أن العوالم لابد لهم من مدبر ومحرك، ويلزم منه أن يكون واحدا عالما بمايحدث فى ملكه قادرا على حدوثه، وأنه غير مكيف ولامتمثل ولا مرئى ولامتحيز ولا متبعض ولامحسوس ولا ملموس ولا مفهوم، بل ـ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ـ ولما كان رسوله إلى خلقه اثنين ظاهر وباطن، فرسوله الظاهر محمد رسول الله ورسوله الباطن جبريل، فجبريل يأتيه بالوحى بين قومه ولايحسونه ولايعرفونه فكذلك كان لمدبر هذا الهيكل الإنسانى وهو الروح رسولان باطن وظاهر فالرسول الباطن هى الإرادة بمنزلة جبريل يوحى إلى اللسان، واللسان يعبر عن الإرادة وهو بمنزلة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم لما جعل فيك دلالة على صحة نبوته وصدق رسالته جعل فيك أيضا دلالة على ماجاء به من تحقيق شريعته واتباع سنته فكان أصل الأيدى خمسة أشياء كل منها خمس، فالأصل الأول مابنى عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج إلى بيت الله الحرام»

الأصل الثانى وكانت الصلاة المفترضة خمسا. والثالث الزكاة المفروضة فى النصاب بخمس والرابع ـ محمد رسول الله والذين معه ـ أبو بكر وعمر وعثمان وعلى فهم خمسة برسول الله صلى الله عليه وسلم. الخامس أهل البيت خمسة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين، فلما كان أركان الدين إقامة أركان شريعته ومحبة صحابته ومودة قرابته جعل فى أعضائك منها دلالة على ذلك خمسة، فالخمسة التى بنى الإسلام عليها بمنزلة الحواس الخمس منك وهى السمع والبصر واللمس والشم والذوق لأنك تجد بهذه الحواس مذاق كل شىء ومعرفة كل شىء، وكذلك تجد بإقامة تلك الأركان الخمسة ذوق كل شىء وإدراك العرفان ومعرفة الرحمن وعلم الإيقان، فحاسة البصر تدعوك إلى إقامة أركان الصلاة « قال صلى الله عليه وسلم «جعلت قرة عينى فى الصلاة» ، وحاسة اللمس تدعوك لأداء الزكاة، قال الله تعالى ـ خذ من أموالهم صدقة ـ ، وحاسة الذوق تدعوك إلى ترك ذوق الطعام لإقامة ركن الصيام ، وحاسة السمع تدعوك إلى استماع الأذان ـ وأذن فى الناس بالحج ـ ، وحاسة الشم تدعوك إلى انتشاق أنفاس التوحيد «إنى لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن» فهذه الحواس تدعوك إلى إقامة الأركان الخمس، وجعل أصابعك الخمس فى يمينك بمنزلة محمد صلى الله عليه وسلم ، والذين معه هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى، وإن آدم عليه السلام لما خلق نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى جبينه كانت الملائكة تستقبله وتسلم على نور محمد صلى الله عليه وسلم، وآدم عليه السلام لم يره فقال: يارب أحب أن أنظر إلى نور ولدى محمد صلى الله عليه وسلم، فحوله إلى عضو من أعضائى لأراه فحوله إلى سبابته فى يده اليمنى فنظر إليه يتلألأ فى مسبحته فرفعها فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فلذلك سميت المسبحة، فقال: يارب هل بقى فى صلبى من هذا النور شىء؟ قال: نعم: نور أصحابه، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى، فجعل نور على فى إبهامه، ونور أبى بكر فى الوسطى، ونور عمر فى البنصر، ونور عثمان فى الخنصر، وقيل إنما جعلت فى يدك لتقبض برءوسهن على حب هؤلاء الخمسة، ولاتفرق بينهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الله جمع بينهم بقوله تعالى ـ محمد رسول الله والذين معه ـ ثم جعل أصابعك الخمس فى اليد اليمنى مذكرة بالخمسة أشباح، وهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس

بقوله ـ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنزلت هذه الآية فينا أهل البيت أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، ثم جعل أصابع قدميك الخمس مشيرة لك مذكرة بالخمس صلوات التى افترضها الله عليك فتقوم بها على قدميك لأنها خدمة الله تعالى فى الأرض ، والخدمة إنما تكون من القدمين فلذلك جعلت قدمك اليمنى مذكرة بالصلوات الخمس، وأصابع قدمك اليسرى تذكرك بما يجب من نصاب الزكاة وهى خمس دراهم، فالزكاة مقرونة بالصلاة فلذلك كانت أصابع القدمين إشارة إلى الصلاة والزكاة ثم جعل فيك مايدل على الموت والبعث ، ومايدل على نعيم القبر وعذابه، وهو النوم، ومايراه النائم من منام سيء فيتعذب به فيصير بالنوم كالميت فاقد الحس فلا سمع له، ولابصر له، ولا إدراك له، ثم جعل له سمعا وبصرا وإدراكا فيسمع ويبصر بسمع وبصر عن سمعه وبصره، ويرى نفسه تذهب حيث تشاء ويأكل ويشرب، فهى بمنزلة مايراه الميت فى قبره من النعيم والعذاب فى مدة البرزخ بين الموت والبعث، ثم يوقظك الله من نومك لاعن مرادك ولاعن اختيارك، فلو أردت أن لاتنتبه من ذلك فأنت تطيق أن لاتبعث، وهذا تكذيب من أنكر البعث بعد الموت وجهله، وهم الزنادقة، والدهرية، والفلاسفة، وردّ على من أنكر عذاب القبر ونعيمه ومسئلته، وهم المعتزلة. ثم اعلم أن الله تعالى خلق خلقه على ثلاثة أصناف، فقال تعالى ـ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ـ كالحيات والديدان ـ ومنهم من يمشى على رجلين ـ كالطير والآدمى ـ ومنهم من يمشى على أربع ـ كالدواب؛ فمنهم صنف كالساجد، وصنف كالراكع، وصنف كالقائم فالقائم كالأشجار والجدران لايطيقون ركوعا، والراكع كالدواب لايطيقون سجودا ولاقياما، والساجد كالحشرات لايطيقون رفعا وكلهم مخلوقون لطاعته وتقديسه وتنزيهه ـ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ـ فجمع سبحانه لك سائر عبادات خلقه وطاعتهم وبسط لك فى خلقه إن شئت أن تعبده قائما وراكعا وساجدا فعلت ليجمع لك فضيلة جميع خلقه، فكذلك فرض عليك الصلاة، وجعلها تشتمل على سائر عبادة خلقه فكذلك فضيلة القوّم والركع والسجد، وأنت المقصود من كل الوجود، وأنت خاصة العبيد لمراد المعهود، فهذا معنى قولنا متقدما خلق الله آدم عليه

السلام على صورة اسم محمد صلى الله عليه وسلم، وخلق الكون على هيئة رسمه؛ واعلم أن الملأ الأعلى مسخرون فى نفع شجرة الكون مستعملون لمصالحها قائمون بحقوقها لما فيها من خاصية هذا الغصن المحمدى والنور الأحمدى، فأول ماانسلخ نهار الوجود من ظلمة ليل العدم شعشعت أنوار الشموس المحمدية فى أفق جبين آدم عليه السلام فخرت الملائكة سجدا، وقالوا : مليك العرش محمدا أبدا، فلما أمروا بالسجود فسجدوا وخصوا بالشهود فشهدوا، وقيل لهم شكران هذه المشاهدة أن تقوموا على قدم المجاهدة فى خدمة شجرة هو أصلها، ودولة هو عقدها وحلها فليكن منكم السفرة يسعون بالصحف المطهرة، وليكن منكم البررة يطوفون حول حمى هذه الشجرة، وليكن منكم الحملة يحملون لكل عامل عمله، وليكن منكم الكتاب يقومون على أعتاب من قد تاب، وليكن منكم من يغسل وجوههم من غبار الأوزار بماء الاستغفار ويستغفرون لمن فى الأرض، وليكن منكم الحفظة يحفظون عليهم أعمالهم ، ويحصون ماعليهم ومالهم، وليكن منكم من يسعى فى أرزاقهم ليتفرغوا لطاعة رازقهم، فقوم يرسلون الرياح، وقوم يسيرون السحاب وقوم يسجرون البحار، وقوم ينزلون ماء الأمطار، وقوم يحفظون الأقطار، وقوم يغشون الليل ، وقوم يسبحون النهار، وقوم معقبات يحفظون الجوارح من الموبقات، وقوم يرفعون الآفات، وقوم يزخرفون الجنان، وقوم يسعرون النيران فلما تمهدت الدار ، ودار كأس إرادته فاستدار فأول ما استحضر إلى ذلك المحضر إبليس، وهو يرفل فى ثياب التسبيح والتقديس لكنها محشوة بأدغال التدليس؛ فلما حضر إلى ذلك المحضر، وشاهد جمال ذلك المنظر، ووقف على عرفات المعرفة فأنكر وأصرّ على العصيان، وأضمر واستصغر حق هذا الماء والطين واستحقر؛ فلما قيل له اسجد فى صفاء كاساتك فأبى واستكبر فتجاوز الكاس، وفاتته صحبة الأكياس، وبقى فى ظلمة الغم والوسواس، وفتش أكياس علمه وعمله، فإذا هى فلوس أكياس فبقى منقطعا فى مفازة القطيعة قاطعا الشيعة والشريعة، كلما تزايد كربه وتعاظم عليه ضربه يستغيث بلسان ـ فلأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم ـ والقدر يقول لأكتبن لهم منشور الأمان ـ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ـ فسأل المالك الإنظار فأنظر ليكون قائد الكفار إلى النار، عكازة يعتمد عليها ذوو الذنوب

والأوزار، فإذا زلّ أحدهم قال- إنما استزلهم الشيطان - وإن عمل قال- هذا من عمل الشيطان - فلما اقتحم آدم وإبليس عقبة المعصية هـذا يترك ما أمر به وذاك يفعل ما نهى عنه جمع بينهما القدر إذ قدّر، لأنه تعالى أمر وأراد خلاف ما أمر فا وهبه الأمر سلبته الإرادة. فلما تعدياها حكم لإبليس أن لا يتعداها وطنب الشق فيها خيامه، وجعل في عرصتها مقامه. وأما آدم فإنه حن إلى دار المقامة، وتذكر لياليه وأيامه، فعاد على نفسه بالملامة، فنادى بين ندماء الندامة-ربنا ظلمنا أنفسنا- فتلقى بشير قربته بتفريج كربته - فتلقى آدم من ربه كلمات - وأما الشقي إبليس فانطلقت إليه خيول اللعنة مطلقة الأعنة تبشره بطرده وبعده، فأخرج منها مأمورا - قلنا اهبطوا - فتقلقل آدم قلقا، وكاد أن يتمزق حرقا، وقال: سيدي جرعت مرارة الصدود في الصعود فأعذني من حرارة القنوط في الهبوط، فقيل له لا بأس عليك حتى تصل إلى مفرق فريقين- فريق في الجنة، وفريق في السعير - فأخذ آدم ذات اليمين، وأخذ إبليس ذات الشمال فكان أصلا لأصحاب الشمال، لكنهما لما اصطحبا واجتمعا فكان للصحبة أثر فكان محله من آدم وسيره معه مما يلي شماله فأثر ذلك على ما كان في أصله من الصفح الأيسر فبرحوا في ظل ظلمة مخالفته فكفروا بقربهم منه ومحاذاتهم له، وبقي من كان في الصفح الأيمن في نور معرفة آدم فسلموا من ظلمة إبليس لبعدهم عنه، وأثر عليهم جوار من كفر واستظل بظلمة ضلاله وهم أهل الصفح الأيسر وأثر ذلك في صفاتهم، وسلمت لهم أنوار ذواتهم ومعارفهم؛ فما يرتكبه أهل الصفح الأيمن من المعاصي والأوزار هو من أثر ذلك الجوار، وأشعة ذلك العذار واعلم أنه كان لذلك الأثر أصل آخر وسبب آخر وهو أنه لما أمر الله تعالى بقبض القبضة التي خلق منها آدم عليه السلام فهبط ملك الموت لذلك، وكان إبليس يومئذ في الأرض قد استخلفه الله تعالى فيها مع جملة من الملائكة، وقد مكث زمانا طويلا يعبد الله فقبض ملك الموت القبضة من سائر الأرض وكان إبليس يطؤها بقدمه، فلما عجنت طينة آدم وصوّرت صورته من تلك الطينة جاء خلق النفس من التراب الذي وطئه إبليس بقدمه، وخلق القلب من التراب الذي لم يطأه إبليس بقدمـــه، فاكتسبت النفس ما فيها من الخبث والأوصاف المذمومة من ملامسة وطء إبليس؛ ومن هنا جعلت النفس مأوى

الشهوات، وعيشه وسلطانه عليها لوطئه لها، ومن هنا جعل إبليس التكبر على آدم حيث وجدها من تراب قدمه ونظر إلى جوهر عنصره، وهو النار فادعى الفخار حينئذ ومال إلى الاستكبار، وهذا معنى قول الله سبحانه وتعالى - ياأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان - التي خلقت من تحت خطواته:

اعلم أنه لما نشأت شجرة الكون أنبتت أغصانا ثلاثة غصن ذات اليمين، وغصن ذات الشمال، وغصن نبت مستقيما قويما، وهو غصن السابقين فكانت روحانية محمد صلى الله عليه وسلم قائمة بالثلاثة أغصان متعلقة بها سارية فيها لكل غصن نصيب على مقدار قابليته لتلك الروحانية قال الله تعالى - وما أرسلناك إلى رحمة للعالمين - فكان حظ غصن أصحاب اليمين روحانية الهداية، والمتابعة له والعمل بسنته وشريعته، قال الله تعالى - الذين يتبعون الرسول النبي الأمي - الآية، وكان حظ السابقين روحانية القربى منه والزلفى لديه والصحبة له-فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين - الآية، وكان حظ أصحاب الشمال من روحانية حمايتهم في الدنيا وأمنهم من العقوبة المعجلة -وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم - الآية؛ فلما آن أوان ظهور جسمانيته صلى الله عليه وسلم إلى الوجود نبت غصن وجوده مستقيما قويما، فلما ثبت أصله ونبت فرعه ناداه متولي سياسته -فاستقم كما أمرت-فكانت صفته صلى الله عليه وسلم الاستقامة ومقامـه دار المقامة، فلما استقام رحل عن الكونين، ولما أقام نقل من مقام إلى مقام حتى استقر به المنزل فأقام، فالمقام الأول مقام الوجود في الدنيا، وهو قوله تعالى - ياأيها المدثر قم فأنذر -والمقام الثاني المقام المحمود في الآخرة، وهو قوله تعالى - عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا - والمقام الثالث مقام الخلود في الجنة، وهو قوله تعالى: - الذي أحلنا دار المقامة من فضله - والمقام الرابع المقام المشهود مقام قاب قوسين لرؤية المعبود - ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى - الآية، فهو المخصوص بالدنو والعلو والشهود إذ كان هو المقصود من كل الوجود، لأن الوجود لما كان شجرة كان هو ثمرتها، وكان هو جوهرتها، فالشجرة المثمرة إنما تثمر بالحبة التي ينبت بها أصلها فإذا غرست تلك الحبة وغذيت وربيت حتى نبتت وفرعت وأورقت واهتزت وأثمرت، فإذا نظرت تلك الشجرة رأيتها في تلك الحبة التي نبت منها هذه الشجرة، فالحبة في البداية نطفة

حتى أظهرت صورة الشجرة ، والشجرة فى النهاية بها ظهرت فأظهرت صورة تلك الحبة فكذلك بطونه صلى الله عليه وسلم فى المعنى فى السابق ، واختفاؤه وظهوره فى الصورة فى اللاحق واشتهاره ، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» فكان هو مظهر معنى هذه الشجرة ، وهو مظهر صورته صلى الله عليه وسلم ، فما برح بلسان القدم مذكورا ، وفى طى العدم منشورا ، وما مثال ذلك إلا مثال تاجر عمد إلى فراشه وبزه فطواه فى خزانة ملكه وعباه أثوابا بعضها فوق بعض فأول ثوب دمجه وطواه ، هو آخر ثوب أظهره وأبداه ، كذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان أولا لكل وجودا وآخرهم ظهورا وخروجا ، فلما تولى مقصارا لقدر سياسة هذا الغصن النبوى فغذاه بلباب بره وسقاه بكأس محبته وحماه فى قلة حماه ورباه حتى اهتزت رباه ، وتفرعت نفحات شذاه فكانت تلك النفحات غذاء أرواح العارفين ، ونور بصائر المؤمنين وريحانة حضرة المحبين ، وعرصة مجمع العاصين ، وغياث مستسقى المذنبين ، فإن هب من تلقاء أصحاب الشمال سموم خطيئة أو عاصف معصية ، فأمال غصنا قد أنبته الله نباتا ، فمال به إلى عمل من أعمال أهل الشمال تلاعب بفرعه ، وأثر ذلك فى خضرة نضارة زهره ، لكن أصله فى أرض الإيمان ثابت ، فما يضره ماحدث فى فرعه النابت ، إذا تداركه صاحب سيئاته فحماه من ذلك الهوى ، وأماله إلى طريق الاستقامة بعد الطوى ، وسقاه بماء الاستغفار حتى ارتوى ، فهنالك يقبل منه مانوى ، ويورق غصن إيمانه بعد مازوى ، ويقوم خطيب الاعتذار عنه وهو الصادق فيما نقل وروى ، ويقسم بالنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى . ثم اعلم أن الغصن المحمدى قد حصل من روحانية ماهو مادة الأرواح ، ومن جسمانية ماهو مادة الأشباح ، فأما مادة روحانيته جوده فى سر قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - إلى قوله تعالى - مصباح - يعنى مصباح نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد جعله مصباح مشكاة الوجود فشبه الكون بالمشكاة ، وسيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بالزجاجة والنور الذى هو قلبه بالمصباح ، فأشرق نور باطنه على ظاهره ، كإشراق المصباح فى الزجاجة ، فصار نور المصباح نارا والزجاجة نورا لصفائها ، فصار نورا وكان حظ كل مخلوق من ذلك بحسب قربه منه واتباعه له والدخول فى شيعته ،

والعمل بشريعته ، وهو معنى قوله تعالى - أنزل من السماء ماء بقدر - فشبه الله تعالى حبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم بالماء النازل من السماء بقدر لأن الماء حياة كل شىء وكذلك كان نوره صلى الله عليه وسلم حياة كل قلب ووجوده رحمة لكل شىء ، ثم بين انتفاع الناس بنوره ، وما نالهم من بركته صلى الله عليه وسلم بالأودية فجعل القلوب أودية منها الكبير والصغير والجليل والحقير : فاحتمل كل قلب على قدر وسعه ومقدار مادته من الماء وتطرق السبل إليه - قد علم كل أناس مشربهم - ثم شبه جسمانيته بالزبد الرابى المحتمل على وجه الماء الصافى وهو مرباه الظاهر من الأكل والشرب والنكاح ، ومشاركة الناس فى أفعالهم وأحوالهم فذلك كله يذهب ويتلاشى - وأما ماينفع الناس - من نبوته ورسالته وحكمته وعلمه ومعرفته وشفاعته - فيمكث فى الأرض - واعلم أنه إنما كانت حكمة خلقه كذلك أنه خلق من لطيف وكثيف ليكون كامل الخلق كامل الوصف خلقه الله تعالى من ضدين جسمانى وروحانى فجعل جسمانيته وبشريته لملاقاة البشر ، ومقابسات الصور ، فجعل له قوة يلاقى بها البشر فيمدهم بمادة بشريته فيكون معهم بهم فيكون هم لهم - إنما أنا بشر مثلكم - يجانسهم ويشاكلهم لأنه لو برز إليهم فى هيئة روحانية ملكية نورانية لما أطاقوا مقابلته ، وما استطاعوا مقاومته فذلك من الله تعالى بقوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم - ثم جعل له قوة وروحانية يقابل بها عالم الروحانيين وملكوت العلويين ليكون تام البركة تام الرحمة الروحانيون يشهدون جسمانيته ، ثم جعل له وصف ثالث خاص خارج عن هذين الوصفين وهو أنه جعل فيه وصف ربانى وسر إلهى يثبت به عند تجلى صفات الربوبية ، ويطيق به مشاهدة الحضرة الإلهية ، ويتلقى به أسرار أنوار الفردانية ، ويسمع به خطاب الإشارات القدسية ، وينشق به عطر النفحات الرحمانية ، ويعرج به إلى المقامات العذبة البهية ، وهو معنى سر قوله صلى الله عليه وسلم «لست كأحد منكم» ، وقوله صلى الله عليه وسلم «لى وقت لايسعنى فيه غير ربى سبحانه» ، فهذا المقام ليس يختص به ملك مقرب ولا نبى مرسل ، كأس لم يتناوله سواه ، عروس ماجليت إلا عليه وهو هذا المقام المخصوص به وهو أحد المقامات الأربعة التى ذكرناها وأما الثلاثة الأخر فإنها كرامات لسائر الخلق ليتناول كل منهم ماقسم له من النصيب ، فأما المقام

المحمود فمخصوص بعالم الصورة وهو عالم الملك فى الدنيا فيتناولهم وجود طمأنينته وبركة نبوته ورسالته - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - أقيم على منبر - يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - الآية فهو فى الدعوة مجيبهم، وفى النصيحة خطيبهم، ومن الزلزلة طبيبهم، ومن المحنة نصيبهم فهذا مخصوص بأهل الدنيا، وأما المقام الثانى فهو المقام المحمود فى القيامة، وذلك نصيب الملإ الأعلى فينالهم من بركة مقامه ومشاهدة جماله وسماع كلامه - يوم يقوم الروح والملائكة - الآية، يؤذن له فى الخطاب، فيقوم خطيبا، والملائكة صفوفا والخلائق وقوفا، فيفتتح خطبته بالشفاعة لأمته ينادى «أمتى أمتى» فيجيبه رحمتى رحمتى. وأما المقام الثالث فالشهود: وذلك فى دار الخلود لينال أهل الجنة منه نصيبهم تتمتع بمشاهدته الحور، وتتشرف بحلوله القصور، ويقدم لقدومه السرور، وتزداد الجنة نورا، وترفع بقدومه الحجب وتزول الشرور. المقام الرابع: هو المقام الذى خص به صلى الله عليه وسلم وهو مقام رؤية المعبود جل وعلا، وهو مقام قاب قوسين أو أدنى، وذلك أنه لما كان ثمرة شجرة الكون ودرة صدفة الوجود وسره، ومعنى كلمة كن ولم تكن الشجرة مرادة لذاتها، وإنما كانت مرادة لثمرتها فهى محمية محروسة لاجتناء ثمرتها واستجلاء زهرتها، فلما كان المراد عرض هذه الثمرة بين يدى مثمرها وزفها إلى حضرة قربه، والطواف بها على ندمان حضرته، قيل له: يايتيم أبى طالب قم فإن لك طالب قد ادخرلك مطالب، فأرسل إليه أخص خدام الملك؛ فلما ورد عليه قادما وافاه على فراشه نائما، فقال له ياجبريل إلى أين؟ فقال: يامحمد ارتفع الأين من البين فإنى لا أعرف فى هذه النوبة أين لكنى رسول القدم أرسلت إليك من جملة الخدم - وما نتنزل إلا بأمر ربك - قال: ياجبريل فما الذى مراد منى؟ قال: أنت مراد الإرادة مقصود المشيئة فالكل مراد لأجلك، وأنت مراد لأجله، وأنت مختار الكون، أنت صفوة كأس الحب، أنت درة هذه الصدفة، أنت ثمرة هذه الشجرة أنت شمس المعارف، أنت بدر اللطائف مامهدت الدار إلا لرفعة محلك ماهيئ هذا الجمال إلا لوصلك ماروق كأس المحبة إلا لشربك، فقم فإن الموائد لكرامتك ممدودة، والملأ الأعلى يتباشرون بقدومك عليهم، والكروبيون يتهللون بورودك إليهم، وقد نالهم شرف روحانيتك فلا بد لهم من نصيب جسمانيتك، فشرف عالم

الملكوت كما شرفت عالم الملك وشرف بوطء قدميك قمة السماء كما شرفت بهما أديم البطحاء. قال: ياجبريل، الكريم يدعونى فماذا يفعل بى؟ قال ليغفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر. قال هذا لى فما لعيالى وأطفالى، فإن شر الناس من أكل وحده قال - ولسوف يعطيك ربك فترضى -. قال ياجبريل: الآن طاب قلبى ها أنا ذاهب إلى ربى، فقرب له البراق، فقال مالى بهذا؟ قال مركب العشاق، قال أنا مركبى شوقى، وزاد توقى، ودليلى ليلى أنا لا أصل إليه إلا به، ولا يدلنى عليه إلا هو وكيف يطيق حيوان ضعيف أن يحمل من يحمل أثقال محبته، ورواسى معرفته، وأسرار أمانته التى عجزت عن حملها السموات والأرض والجبال وكيف تطيق أن تدل بى وأنت الحائر عند سدرة المنتهى، وقد انتهى إلى حضرة ليس لها منتهى، ياجبريل: أين أنت منى ولى وقت لايسعنى فيه غير ربى: ياجبريل إذا كان محبوبى ليس كمثله شىء، فأنا لست كأحدكم، المركوب يقطع به المسافات والدليل يستدل به إلى الجهات، وإنما ذلك محل الحدثات، وأنا حبيبى مقدس عن الجهات منزه عن الحدثات لايوصل إليه بالحركات، ولايستدل عليه بالإشارات فمن عرف المعانى عرف ما أعانى هلم إن قربى منه مثل قاب قوسين أو أدنى فوقعت هيبة الوقت على جبريل؛ فقال: يامحمد إنما جىء بى إليك لأكون خادم دولتك وصاحب حاشيتك وجىء بالمركب إليك لإظهار كرامتك، لأن الملوك من عاداتهم إذا استزاروا حبيبا أو استدعوا قريبا وأرادوا ظهور كرامتهم واحترامهم أرسلوا أخص خدامهم وأعز دوابهم لنقل أقدامهم فجئناك على رسم عادة الملوك وآداب السلوك، ومن اعتقد أنه سبحانه وتعالى يوصل إليه بالخطا وقع فى الخطا، ومن ظن أنه محجوب بالغطاء فقد حرم العطاء، يامحمد إن الملأ الأعلى فى انتظارك، والجنان قد فتحت أبوابها وزخرفت رحابها وتزينت أترابها وروق شرابها كل ذلك فرحا بقدومك وسرورا بورودك، والليلة ليلتك: والدولة دولتك، وأنا منذ خلقت منتظر هذه الليلة، وقد جعلتك الوسيلة فى حاجة، قلت فيها حيلتى، وانقطعت وسيلتى، فأنا فيها حائر العقل ذاهل الفكر داهش السر مشغول البال زائد البلبال يامحمد حيرتى أوقفتنى فى ميادين أزله وأبده، فجلت فى الميدان الأول فاوجدت له أول، وملت إلى الميدان الآخر، فإذا هو فى الآخر أول، فطلبت رفيقا إلى ذلك

الرفيق، فتلقانى ميكائيل فى الطريق، فقال لى : إلى أين؟ الطريق مسدودة والأبواب دونه مردودة لا يوصل إليه بالأزمان المعدودة ولا يوجد فى الأماكن المحدودة ؛ قلت : فما وقوفك فى هذا المقام ؟ قال : شغلنى بمكاييل البحار، وإنزال الأمطار، وإرسالها فى سائر الأقطار، فأعرف كم أجاجها مددا، وكم تقذف أمواجها زبدا، ولا أعرف للأحدية أمدا ، ولا للفردية عددا : قلت: فأين إسرافيل. قال : ذلك أدخل فى مكتب التعليم يصافح بصفحة وجهه اللوح المحفوظ ، ويستنسخ منه ما هو مبروم ومنقوض ، ثم يقرأ على صبيان التعليم فى مثال - ذلك تقدير العزيز العليم - ثم هو فى زمن تعلمه لا يرفع رأسه حياء من معلمه، فطرفه عن النظر مقصور ، وقلبه عن الفكر محصور ، فهو كذلك إلى يوم ينفخ فى الصور . قلت: فهلم نسأل العرش ، ونستهديه ونستنسخ منه ما علمه ونستمليه ، فلما سمع العرش ما نحن فيه اهتز طربا وقال لا تحرك به لسانك ولا تحدث به جنانك ، فهذا سر لا يكشفه حجاب، وستر لا يفتح دونه باب ، وسؤال ليس له جواب، ومن أنا فى البين حتى أعرف له أين؟ وما أنا إلا مخلوق من حرفين، وبالأمس كنت لا أثر ولا عين ، من كان بالأمس عدما مفقودا كيف يعرف رؤية من لم يزل موجودا ، ولا والدا ولا مولودا وهو سبقنى بالاستواء؛ وقهرنى بالاستيلاء، فلولا استواؤه لما استويت ولولا استيلاؤه لما أهديت ، استوى إلى السماء وهى دخان، واستوى على العرش لقيام البرهان فوعزته لقد استوى ، ولا علم لى بما استوى، وأنا والثرى بالقرب منه على حد سوى، فلا أحيط بما حوى ، ولا أعرف ما زوى، ولكنى عبد له؛ ولكل عبد ما نوى، ثم إنى أخبرك بقصتى، وأبث إليك شكوى غصتى، أقسم بعلى عزته ، وقوى قدرته لقد خلقنى ، وفى بحار أحديته غرقنى ، وفى بيداء أبديته حيرنى ، تارة يطلع من مطالع أبديته فيعشنى؛ وتارة يدنينى من مواقف قربه فيؤنسنى ، وتارة يحتجب بحجاب عزته فيوحشنى ، وتارة يناجينى بمناجاة لطفه فيطربنى، وتارة يواصلنى بكاسات حبه فيسكرنى ، وكلما استعذبت من عربدة سكرى، قال لسان أحديته - لن ترانى - فذبت من هيبته فرقا وتمزقت من محبته قلقا، وصعقت من تجلى عظمته كما خر موسى صعقا، فلما أفقت من سكرة وجدى به قيل لى : أيها العاشق هذا جمال قد صناه ، وحسن قد حجبناه ، فلا ينظره إلا حبيب

قد اصطفيناه، ويتيم قد ربيناه ، فإذا سمعت - سبحان الذى أسرى بعبده - فقف على طريق عروجه إلينا وقدومه علينا، لعلك ترى من يرانا، وتفوز بمشاهدة من لم ينظر إلى سوانا ، يا محمد إذا كان العرش مشوقا إليك ، فكيف لا أكون خادم يديك ، قدم إليه مركبه الأول : وهو البراق إلى بيت المقدس؛ ثم المركب الثانى : وهو المعراج إلى سماء الدنيا ، ثم المركب الثالث : وهو أجنحة الملائكة من سماء إلى سماء ، وهكذا إلى السماء السابعة ؛ ثم المركب الرابع : وهو جناح جبريل عليه السلام إلى سدرة المنتهى ، فتخلف جبريل عليه السلام عندها ، فقال : يا جبريل ، نحن الليلة أضيافك ، فكيف يتخلف المضيف عن ضيفه ، أههنا يترك الخليل خليله؟ قال يا محمد أنت ضيف الكريم ، ومدعو القديم ، لو تقدمت الآن بقدر أنملة لاحترقت - وما منا إلا له مقام معلوم - قال يا جبريل إذا كان كذلك ألك حاجة ؟ قال : نعم ، إذا انتهى بك إلى الحبيب حيث لا منتهى ، وقيل لك : ها أنت وها أنا ، فاذكرنى عند ربك، ثم زج به جبريل عليه السلام زجة فخرق سبعين ألف حجاب من نور ، ثم تلقاه المركب الخامس : وهو الرفرف من نور أخضر ، قد سد ما بين الخافقين فركبه حتى انتهى به إلى العرش فتمسك العرش بأذياله وناداه بلسان حاله وقال : يا محمد ، إلى متى تشرب من صفاء وقتك آمنا من معتكره ، تارة يتشوق إلباك حبيبك وينزل إلى سماء الدنيا ، وتارة يطوف بك على ندمان حضرته ويحملك على رفرف رأفته - سبحان الذى أسرى بعبده - وتارة يشهدك جمال أحاديثه - ما كذب الفؤاد ما رأى - وتارة يشهدك جمال صمدانيته - ما زاغ البصر وما طغى - وتارة يطلعك على سرائر ملكوتيته - فأوحى إلى عبده ما أوحى - وتارة يدنيك من حضرة قربه - فكان قاب قوسين أو أدنى - يا محمد ، هذا أوان الظمآن إليه واللهفان عليه والمتحير فيه لا أدرى من أى جهة آتيه ، جعلنى أعظم خلقه ، فكنت أعظمهم وأشدهم خوفا منه، يا محمد خلقنى يوم خلقنى فكنت أرعد من هيبة جلاله ، فكتب على قائمتى : لا إله إلا الله فازددت لهيبة اسمه ارتعادا وارتعاشا ، فلما كتب علىّ محمد رسول الله سكن لذلك قلق وهدأ روعى ، فكان اسمك أمانا لقلبى وطمأنينة لسرى ورقية لقلق ، فهذه بركة وضع اسمك علىّ ، فكيف إذا وقع جميل نظرك إلىّ ، يا محمد أنت المرسل رحمة

العالمين ولابدّ لى من نصيب فى هذه الليلة ، ونصيبى من ذلك أن تشهد لى بالبراءة من النار مما نسبه إلىّ أهل الزور ، وتقوّله علىّ أهل الغرور فإنه أخطأ فىّ قوم فضلوا وظنوا أنى أسع من لاحدّ له ، وأحمل من لاهيئة له ، وأحيط بمن لا كيفية له ، يامحمد من لاحد لذاته ولاعد لصفاته ، فكيف يكون مفتقرا إلىّ أو محمولا علىّ ، فإذا كان الرحمن اسمه ، والاستواء صفته ونعته ، وصفته ونعته متصلان بذاته فكيف يتصل بى أو ينفصل عنى ولا أنا منه ولا هو منى؟ يامحمد وعزته لست بالقرب منه وصلا ، ولا بالبعد عنه فصلا ، ولا بالمطيق له حملا ، ولا بالجامع له شملا ، ولا بالواجد له مثلا ، بل أوجدنى من رحمته منة وفضلا ، ولو محقنى لكان فضلا منه وعدلا ، يامحمد أنا محمول قدرته ومعمول حكمته فكيف يصح أن يكون الحامل محمولا - فلا تقف ماليس لك به علم - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا - فأجابه لسان حاله صلى الله عليه وسلم : أيها العرش ، إليك عنى ، فأنا مشغول عنك فلا تكدر علىّ صفوتى ، ولا تشوش علىّ خلوتى ، فما فى الوقت سعة لعتابك ولا محل لخطابك ، فما أعاره صلى الله عليه وسلم طرفا ولا قرأ من مسطور ما أوحى إليه حرفا - مازاغ البصر - ثم قدم المركب السادس وهو التأييد ، فنودى من فوقه ولم ير حافظك قدامك ها أنت وربك ، قال : فبقيت متحيرا لا أعرف ما أقول ولا أدرى ما أفعل إذ وقعت على شفتى قطرة أحلى من العسل وأبرد من الثلج وألين من الزبد وأطيب ريحا من المسك ، فصرت بذلك أعلم من جميع الأنبياء والرسل ، فجرى على لسانى : التحيات المباركات لله الصلوات الطيبات لله ، فأجبت السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فأشركت إخوانى الأنبياء فيما خصصت به ، فقلت : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أراد بهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولهذا قيل لأبى بكر رضى الله عنه ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه رأى ربه قال صدق وكنت معه متمسكا بأذياله مشاركه فى مقاله ، قيل : كيف ؟ قال فى قوله : السلام علينا ، فأجابه الملائكة : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله ، قال : ثم نوديت ادن يامحمد فدنوت ثم وقفت وهو معنى قوله عز وجل - ثم دنا فتدلى - وقيل دنا محمد فى السؤال ، فتدلى ، فتقدم للرب عز وجل . قيل دنا بالشفاعة ، وتقرب إلى الرب بالإجابة ، وقيل دنا بالخدمة ، وتقرب

للرب بالرحمة - ثم دنا فتدلى - معناه : دنا محمد من ربه فتدلى عليه الوحى من ربه دنا لطافة فتدلى عليه رأفة ورحمة ، لا يوصف بقطع مفازة ولا مسافة ، قد ذهب الأين من البين وتلاشى الكيف واضمحل الأين ، فكان قاب قوسين ، فلو اقتصر على قاب قوسين لاحتمل أن يكون للرب مكان ، وإنما قوله - أو أدنى - لنفى المكان وكان معه حيث لامكان ولا زمان ولا أوان ولا أكوان ، فنودى : يامحمد تقدم ، فقال : يارب إذا انتفى الأين فأين أضع القدم؟ قال : ضع القدم على القدم حتى يعلم الكل أنى منزه عن الزمان والمكان والأكوان ، وعن الليل وعن النهار ، وعن الحدود والأقطار ، وعن الحد والمقدار ، يامحمد انظر فنظر فرأى نورا ساطعا فقال : ماهذا النور ؟ قيل ليس هذا نورا ، بل هو جنات الفردوس لما ارتقيت صارت فى مقابلة قدميك ، وما تحت قدميك فداء لقدميك ، يامحمد مبدأ قدمك منقطع أوهام الخلائق ، يامحمد مادمت فى سير الأين ، جبريل دليلك ، والبراق مركبك فإذا ذهب المكان ، وغبت عن الأكوان ، وانتفى الأين ، وارتفع البين من البين ، ولم يبق إلا قاب قوسين ، فأنا الآن دليلك ، يامحمد أفتح لك الباب ، وأرفع لك الحجاب ، وأسمعك طيب الخطاب فى عالم الغيب ، وحدتنى تحقيقا وإيمانا فوحدنى الآن فى عالم الشهود مشاهدة وعيانا ؛ فقال : أعوذ بعفوك من عقوبتك ، فقيل هذا لعصاة أمتك ليس هذا حقيقة مدعى وحدتى ، فقال : « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » فقال : يامحمد إذا كلّ لسانك عن العبارة فلأكسونه لسان الصدق - وما ينطق عن الهوى - فإذا ضل عيانك عن الإشارة فلأجعلنّ عليك خلعة الهداية - مازاغ البصر وما طغى - ثم لأعيرنك نورا تنظر به جمالى وسمعا تسمع به كلامى ، ثم أعرّفك بلسان الحال معنى عز وجل علىّ وحكمة نظرك إلىّ فكأنه يقول مشيرا : يامحمد - إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا - والشاهد مطالب بحقيقة ماشهد به ، ولا يجوز له الشهادة على غائب فأريك جنتى لتشاهد ما أعددته لأوليائى ، وأريك نارى لتشاهد ما أعددته لأعدائى ، ثم أشهدك جلالى وأكشف لك عن جمالى لتعلم أنى منزه فى كمالى عن المثيل والشبيه والبديل والنظير والمشير ، وعن الحد والقد ، وعن الحصر والعد ، وعن الجوز والفرد ، وعن المواصلة والمفاصلة ، والمماثلة ، والمشاكلة ، والمجالسة ، والملامسة ، والمباينة والممازحة ، يامحمد

إنى خلقت خلق ودعوتهم إلىّ ، فاختلفوا علىّ ، فقوم جعلوا العزير ابنى ، وأن يدى مغلولة ، وهم اليهود ، وقوم زعموا أن المسيح ابنى ، وأن لى زوجة وولدا ، وهم النصارى ، وقوم جعلوا لى شركاء وهم الوثنية ، وقوم جعلونى صورة وهم المجسمة وقوم جعلونى محدودا وهم المشبهة ، وقوم جعلونى معدوما وهم المعطلة ، وقوم زعموا أنى لا أرى فى الآخرة وهم المعتزلة ، وها أنا قد فتحت لك بابى ، ورفعت لك حجابى ، فانظر ياحبيبى يا محمد هل تجد فىّ شيئا مما نسبونى إليه ، فرآه صلى الله عليه وسلم بالنور الذى قواه به ، وأيده به من غير إدراك ولا إحاطة فردا صمدا لا فى شىء ، ولا على شىء ، ولا قائما بشىء ، ولا مفتقرا إلى شىء ، ولا هيكلا ولا شبحا ، ولا صورة ، ولا جسما ، ولا محيزا ، ولا مكيفا ، ولا مركبا ـ ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير ـ ، فلما كلمه شفاها وشاهده كفاحا ، فقال : ياحبيبى يا محمد لا بد لهذا الخلق من سر لا يذاع ، وزمن لا يشاع ـ فأوحى إلى عبده ما أوحى ـ فكان سر من سر فى سر :

وصلى اللهم وسلم وبارك على أشرف مخلوقاتك سيدنا ومولانا محمد بحر أنوارك ، ومعدن أسرارك ، ولسان حجتك ، وإمام حضرتك ، وعروس مملكتك ، وطراز ملكك ، وخزائن رحمتك ، وطريق شريعتك : وسراج جنتك ، وعين حقيقتك المتلذذ بمشاهدتك ، عين أعيان خلقك ، المقتبس من نور ضيائك ، صلاة تحل بها عقدتى ، وتفرج بها كربتى ، وتقضى بها أربى ، وتبلغنى بها طلبى ، صلاة دائمة بدوامك باقية ببقائك ؛ قائمة بذاتك ، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يارب العالمين ؛

• • •

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

(تمت شجرة الكون ، ويليها : حكاية إبليس اللعين)

حكاية إبليس

فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الأمين ، وعلى آله الطاهرين ، وصحبه أجمعين :

عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال وكنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت رجل من الأنصار فى جماعة فنادى مناد يا أهل المنزل أتأذنون لى بالدخول ولكم إلىّ حاجة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعلمون من المنادى ؟ فقالوا الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا إبليس اللعين لعنه الله تعالى ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أتأذن لى يارسول الله أن أقتله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم مهلا ياعمر أما علمت أنه من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ! ولكن افتحوا له الباب فإنه مأمور فافهموا عنه مايقول واسمعوا منه مايحدثكم . قال ابن عباس رضى الله عنهما ففتح له الباب فدخل علينا فإذا هو شيخ أعور كوسج ، وفى لحيته سبع شعرات كشعر الفرس وعيناه مشقوقتان بالطول ورأسه كرأس الفيل الكبير وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير وشفتاه كشفتى الثور ، فقال : السلام عليك يا محمد السلام عليكم ياجماعة المسلمين فقال النبى صلى الله عليه وسلم السلام لله يالعين قد سمعت حاجتك ماهى ؟ فقال له إبليس يا محمد ماجئتك اختيارا ولكن جئتك اضطرارا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم وما الذى اضطرك يالعين ؟ فقال أتانى ملك من عند رب العزة فقال إن الله تعالى يأمرك أن تأتى لمحمد صلى الله عليه وسلم وأنت صاغر ذليل متواضع وتخبره كيف مكرك ببنى آدم وكيف إغواؤك لهم وتصدقه فى أى شىء يسألك ، فوعزتى وجلالى لئن كذبته بكذبة واحدة ولم تصدقه لأجعلنك رمادا تذروه الرياح ولأشمتن

الأعداء بك ، وقد جئتك يا محمد كما أمرت فاسأل عما شئت ، فإن لم أصدقك فيما سألتنى عنه شمتت بى الأعداء وما شىء أصعب من شماتة الأعداء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت صادقا فأخبرنى من أبغض الناس إليك ؟ فقال أنت يا محمد أبغض خلق الله إلىّ ومن هو على مثلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ماذا تبغض أيضا ؟ فقال شاب تقى وهب نفسه لله تعالى ، قال ثم من ؟ قال : عالم ورع عرفت أنه صبور قال ثم من ؟ قال من يدوم على طهارة ثلاثة ، قال ثم من ؟ قال فقير صبور إذا لم يصف فقره لأحد ولم يشك ضره ، قال ومن يدريك أنه صبور ؟ قال يا محمد إذا شكا ضره لمخلوق مثله ثلاثة أيام لم يكتب الله له عمل الصابرين ، قال ثم من ؟ قال غنى شاكر : فقال النبى صلى الله عليه وسلم وما يدريك أنه شكور ؟ قال إذا رأيته يأخذ من حله ويضعه فى محله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم كيف يكون حالك إذا قامت أمتى إلى الصلاة ؟ فقال يا محمد تلحقنى الحمة والرعدة ، قال ولم يا لعين ؟ قال إن العبد إذا سجد لله سجدة رفعه الله درجة ، قال فإذا صاموا ؟ قال أكون مقيدا حتى يفطروا ، قال فإذا حجوا قال أكون مجنونا ، قال فإذا قرءوا القرآن ، قال : أذوب كما يذوب الرصاص على النار قال فإذا تصدقوا ، قال : فكأنما يأخذ المتصدق المنشار فيجعلنى قطعتين ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ولم ذلك يا أبا مرة ؟ قال فإن فى الصدقة أربع خصال وهى أن الله تعالى ينزل فى ماله البركة ويحببه إلى خلقه ويجعل صدقته حجابا بينه وبين النار ويدفع بها عنه العاهات والبلايا ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم فما تقول فى أبى بكر ؟ فقال يا محمد لم يطعنى فى الجاهلية فكيف يطيعنى فى الإسلام ، قال فما تقول فى عمر بن الخطاب ؟ قال والله مالقيته إلا وهربت منه ، قا فما تقول فى عثمان ابن عفان ؟ قال أستحى ممن استحت منه ملائكة الرحمن ، قال فما تقول فى على ابن أبى طالب ؟ قال ليتنى سلمت منه رأسا برأس ويتركنى وأتركه ولكنه لم يفعل ذلك قط ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى أسعد أمتى وأشقاك إلى يوم معلوم ، فقال له إبليس اللعين : هيهات هيهات وأين سعادة أمتك وأنا حى لا أموت إلى يوم معلوم ، وكيف تفرح على أمتك وأنا أدخل عليهم فى مجارى الدم واللحم وهم لا يروننى ، فالذى خلقنى وأنظرنى إلى يوم يبعثون لأغوينهم أجمعين

جاهلهم وعالمهم وأميهم وقارئهم وفاجرهم وعابدهم إلا عباد الله المخلصين ، قال ومن المخلصون عندك ؟ قال أما علمت يا محمد أن من أحب الدرهم والدينار ليس بمخلص لله تعالى ، وإذا رأيت الرجل لا يحب الدرهم والدينار ولا يحب المدح والثناء علمت أنه مخلص لله تعالى فتركته ، وإن العبد مادام يحب المال والثناء وقلبه متعلق بشهوات الدنيا فإنه أطوع ممن أصف لكم ، أما علمت أن حب المال من أكبر الكبائر ، يا محمد أما علمت أن حب الرياسة من أكبر الكبائر وأن التكبر من أكبر الكبائر ، يا محمد أما علمت أن لى سبعين ألف ولد ولكل ولد منهم سبعون ألف شيطان فمنهم من قد وكلته بالعلماء ومنهم من قد وكلته بالشباب ومنهم من قد وكلته بالمشايخ ومنهم من قد وكلته بالعجائز . أما الشبان فليس بيننا وبينهم خلاف وأما الصبيان فيلعبون بهم كيف شاءوا ، ومنهم من قد وكلته بالعباد ومنهم من قد وكلته بالزهاد فيدخلون عليهم فيخرجونهم من حال إلى حال ومن باب إلى باب حتى يسبوهم بسبب من الأسباب فآخذ منهم الإخلاص وهم يعبدون الله تعالى بغير إخلاص وما يشعرون ، أما علمت يا محمد أن برصيصا الراهب أخلص لله سبعين سنة حتى كان يعافى بدعوته كل من كان سقيما فلم أتركه حتى زنى وقتل وكفر وهو الذى ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله تعالى - كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين - أما علمت يا محمد أن الكذب منى وأنا أول من كذب ومن كذب فهو صديقى ومن حلف بالله كذبا فهو حبيبى ، أما علمت يا محمد أنى حلفت لآدم وحواء بالله إنى لكما لمن الناصحين ، فاليمين الكاذبة سرور قلبى والغيبة والنميمة فاكهتى وفرحى وشهادة الزور قرة عينى ورضاى ومن حلف بالطلاق يوشك أن يأثم ولو كان مرة واحدة ولو كان صادقا فإنه من عوّد لسانه بالطلاق حرمت عليه زوجته ثم لا يزالون يتناسلون إلى يوم القيامة فيكونون كلهم أولاد زنا فيدخلون النار من أجل كلمة ، يا محمد إن من أمتك من يؤخر الصلاة ساعة فساعة كلما يريد أن يقوم إلى الصلاة لزمته فأوسوس له وأقول له الوقت باق وأنت فى شغل حتى يؤخرها ويصليها فى غير وقتها فيضرب بها فى وجهه فإن هو غلبنى أرسلت إليه واحدة من شياطين الإنس تشغله عن وقتها فإن غلبنى فى ذلك تركته حتى إذا كان

فى الصلاة قلت له انظر يمينا وشمالا فينظر فعند ذلك أمسح بيدى على وجهه وأقبل مابين عينيه وأقول له قد أتيت مالا يصلح أبدا ، وأنت تعلم يا محمد أن من أكثر الإلتفات فى الصلاة يضرب الله بها وجهه فإن غلبنى فى الصلاة وصلى وحده أمرته بالعجلة فينقرها كما ينقر الديك الحبة ويبادر بها فإن غلبنى وصلى فى الجماعة ألجمته بلجام ثم أرفع رأسه قبل الإمام وأضعه قبل الإمام وأنت تعلم أن من فعل ذلك بطلت صلاته ويمسخ الله رأسه رأس حمار يوم القيامة ، فإن غلبنى فى ذلك أمرته أن يفرقع أصابعه فى الصلاة حتى يكون من المسبحين لى وهو فى الصلاة ، فإن غلبنى فى ذلك نفخت فى أنفه حتى يتثاءب وهو فى الصلاة فإن لم يضع يده على فيه دخل الشيطان فى جوفه فيزداد بذلك حرصا فى الدنيا وحبالها ويكون سميعا مطيعا لنا ، وأى سعادة لأمتك وأنا آمر المسكين أن يدع الصلاة وأقول له ليست عليك صلاة إنما هى على الذى أنعم الله عليه وأقول للمريض دعها فإنها ليست عليك إنما هى على من أنعم الله عليه بالعافية لأن الله تعالى يقول - ولا على المريض حرج - وإذا فقت صليت ما عليك حتى يموت كافرا إذا مات تاركا للصلاة وهو فى مرضه لقى الله تعالى وهو غضبان عليه ، يا محمد وإن كنت كذبت أو زغت فاسأل الله أن يجعلنى رمادا ، يا محمد أتفرح بأمتك وأنا أخرج سدس أمتك من الإسلام ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا لعين من جليسك ؟ قال آكل الربا ، قال فمن صديقك ؟ قال الزانى . قال فمن ضجيعك ؟ قال السكران ، قال فمن ضيفك ؟ قال السارق ، قال فمن رسولك ؟ قال الساحر ، قال فما قرة عينك ؟ قال الحالف بالطلاق ، قال فمن حبيبك ؟ قال تارك صلاة الجمعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا لعين فما يكسر ظهرك ؟ قال صهيل الخيل فى سبيل الله قال فما يذيب جسمك ؟ قال توبة التائب ، قال فما ينضج كبدك قال كثرة الاستغفار لله تعالى بالليل والنهار ، قال فما يخزى وجهك ؟ قال صدقة السر ، قال فما يطمس عينيك ؟ قال صلاة السحر ، قال فما يقمع رأسك ؟ قال كثرة الصلاة فى الجماعة ، قال فمن أسعد الناس عندك ؟ قال تارك الصلاة عامدا ، قال فأى الناس أشقى عندك ؟ قال البخلاء ، فما يشغلك عن عملك ؟ قال مجالس العلماء ، قال فكيف تأكل ؟ قال بشمالى وبأصبعى ، قال فأين تستظل أولادك فى وقت الحرور والسموم ؟ قال تحت أظفار

الإنسان ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : فكم سألت من ربك حاجة ؟ قال عشرة أشياء ، قال فما هى يا لعين ؟ قال سألته أن يشركنى فى بنى آدم فى مالهم وولدهم فأشركنى فيهم ، وذلك قوله تعالى - وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا - وكل مال لا يزكى فإنى آكل منه وآكل من كل طعام خالطه الربا والحرام ، وكل مال لا يتعوذ عليه من الشيطان الرجيم ، وكل من لا يتعوذ عند الجماع إذا جامع زوجته فإن الشيطان يجامع معه فيأتى الولد سامعا مطيعا لى ، ومن ركب دابة يسير عليها فى غير طلب حلال فإنى رفيقه لقوله تعالى - وأجلب عليهم بخيلك ورجلك - وسألته أن يجعل لى بيتا فكان الحمام ، وسألته أن يجعل لى مسجدا فكان الأسواق ، وسألته أن يجعل لى قرآنا فكان الشعر ، وسألته أن يجعل لى أذانا فكان المزامير ، وسألته أن يجعل لى ضجيعا فكان السكران ، وسألته أن يجعل لى أعوانا فكان القدرية ، وسألته أن يجعل لى إخوانا فقال الذين ينفقون أموالهم فى المعصية ثم تلا قوله تعالى - إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين - الآية ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لولا أتيتنى بتصديق كل قول بآية من كتاب الله تعالى ما صدقتك ، قال يا محمد سألت الله تعالى أن أرى بنى آدم وهم لا يرونى فأجرانى على عروقهم مجرى الدم أجول بنفسى كيف شئت وإن شئت فى ساعة واحدة فقال الله تعالى لك ما سألت وأنا أفتخر بذلك إلى يوم القيامة وإن من معى أكثر ممن معك وأكثر ذرية آدم معى إلى يوم القيامة ، وإن لى ولدا قد سميته عتمة يبول فى أذن العبد إذا نام عن صلاة العتمة ولولا ذلك ما وجد الناس نوما حتى يؤدوا الصلاة ، وإن لى ولدا سميته المتقاضى فإذا عمل العبد طاعة سرا وأراد أن يكتمها لا يزال يتقاضى به بين الناس حتى يخبر بها الناس فيمحو الله تعالى تسعة وتسعين ثوابا من مائة ثواب فيبقى له ثواب واحد لأن له بكل عمل يعمله سرا مائة ثواب ، وإن لى ولدا سميته كحيلا وهو الذى يكحل عيون الناس فى مجالس العلماء وعند خطبة الخطيب حتى ينام عند سماع كلام العلماء فلا يكتب له ثواب أبدا ، وما من امرأة تخرج إلا قعد شيطان عند مؤخرها وشيطان يقعد فى حجرها يزينانها للناظرين ويقولان لها أخرجى يدك فتخرج يدها ثم تبرز ظفرها فتهتك ، ثم قال يا محمد ليس لى من الإضلال شىء إنما أنا موسوس ومزين

ولو كان الإضلال بيدى ما تركت أحدا على وجه الأرض ممن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا صائما ولا مصليا ، كما أنه ليس لك من الهداية شيء بل أنت رسول ومبلغ ولو كانت الهداية بيدك ما تركت على وجه الأرض كافرا وإنما أنت حجة الله على خلقه وأنا سبب لمن سبقت له الشقاوة ، والسعيد من أسعده الله فى بطن أمه والشقى من أشقاه الله تعالى فى بطن أمه ؛ فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك - ثم قرأ قوله تعالى - وكان أمر الله قدرا مقدورا - ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا مرة هل لك أن تتوب وترجع إلى الله تعالى وأنا أضمن لك الجنة ، فقال يا رسول الله قد قضى الأمر وجف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فسبحان من جعلك سيد الأنبياء وخطيب أهل الجنة فيها وخصك واصطفاك ، وجعلنى سيد الأشقياء وخطيب أهل النار وأنا شقى مطرود ، وهذا آخر ما أخبرتك عنه وقد صدقت فيه ؛

• • •

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .